@ 434 @ نبيهم شعيب ، فدعاهم إلى التوحيد ، وترك ظلم الناس في المكاييل والموازين ، وعالجهم على ذلك أشد المعالجة فاستمروا على ظلمهم في حق الخالق ، وفي حق الخلق ، ولهذا ، وصفهم هنا بالظلم ، ! 2 2 ! فأخذهم عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم . ! 2 2 ! أي : ديار قوم لوط ، وأصحاب الأيكة ! 2 2 ! أي : لبطريق واضح ، يمر بهم المسافرون كل وقت ، فيبين من آثارهم ما هو مشاهد بالأبصار ، فيعتبر بذلك أولو الألباب . يخبر تعالى عن أهل الحجر ، وهم قوم صالح ، الذين كانوا يسكنون الحجر المعروف في أرض الحجاز ، أنهم كذبوا المرسلين ، أي : كذبوا صالحا ، ومن كذب رسولا ، فقد كذب سائر الرسل ، لاتفاق دعوتهم ، وليس تكذيب بعضهم لشخصه ، بل لما جاء به من الحق الذي اشترك جميع الرسل بالإتيان به ، ! 2 2 ! الدالة على صحة ما جاءهم به صالح من الحق ، ومن جملتها : تلك الناقة ، هي من آيات ا العظيمة . ! 2 2 ! كبرا وتجبرا على ا ، ! 2 2 ! من كثرة إنعام ا عليهم ! 2 2 ! من المخاوف مطمئنين في ديارهم ، فلو شكروا النعمة ، وصدقوا نبيهم صالحا ، عليه السلام ، لأدر ا عليهم الأرزاق ، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل ، ولكنهم لما كذبوا ، وعقروا الناقة ، وعتوا عن أمر ربهم ، وقالوا : ^ (يا صالح ائتنا بما تعدنا ، إن كنت من الصادقين) ^ . ! 2 2 ! ، فتقطعت قلوبهم في أجوافهم ، وأصبحوا في دارهم جاثمين هلكى ، مع ما يتبع ذلك ، من الخزي واللعنة المستمرة ، ! 2 2 ! لأن أمر ا إذا جاء ، لا يرده كثرة جنود ، ولا قوة أنصار ، ولا غزارة أموال . ! 2 ! 2 أي : ما خلقناهما عبثا باطلا ، كما يظن أعداء ا ، بل ما خلقناهما ! 2 2 ! الذي منه ، أن تكونا بما فيهما دالتين على كمال خالقهما ، واقتداره ، وسعة رحمته ، وحكمته ، وعلمه المحيط ، وإنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، وحده لا شريك له ، ! 2 2 ! لا ريب فيها ، لأن خلق السموات والأرض ابتداء ، أكبر من خلق الناس مرة أخرى ! 2 2 ! وهو الصفح ، الذي لا أذية فيه ، بل قابل إساءة المسيء بالإحسان ، وذنبه بالغفران ، لتنال من ربك ، جزيل الأجر والثواب ، فإن كل ما هو آت فهو قريب ، وقد ظهر لي معنى أحسن مما ذكرت هنا . وهو : أن المأمور به ، هو الصفح الجميل ، أي : الحسن الذي قد سلم من الحقد ، والأذية القولية والفعلية ، دون الصفح الذي ليس بجميل ، وهو : الصفح في غير محله ، فلا يصفح ، حيث اقتضى المقام العقوبة ، كعقوبة المعتدين الظالمين ، الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة ، وهذا هو المعنى . ! 2 2 ! لكل مخلوق ! 2 2 ! بكل شيء ، فلا يعجزه أحد من جميع ما أحاط به علمه ، وجرى عليه خلقه ، وذلك : سائر الموجودات . ! 2 2 ! يقول تعالى ممتنا على رسوله : !

2 2 ! وهن على الصحيح السور السبع الطوال : (البقرة) و (آل عمران) و (النساء) و (المائدة) و (الأنعام) و (الأعراف) و (الأنفال) مع (التوبة) . أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات ، فيكون عطف ! 2 2 ! على ذلك ، من باب عطف العام على الخاص ، لكثرة ما في المثاني من التوحيد ، وعلوم الغيب ، والأحكام الجليلة ، وتثنيتها فيها . وعلى القول ، بأن (الفاتحة) هي السبع المثاني ، معناها : أنها سبع آيات ، تثنى في كل ركعة ، وإذا كان ا قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني ، كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون ، وأعظم ما فرح به المؤمنون ، ! 2 2 ! ، ولذلك قال بعده : ! 2 2 ! أي : لا تعجب إعجابا يحملك على إشغال فكرك ، بشهوات الدنيا ، التي تمتع بها المترفون ، واغتر بها الجاهلون ، واستغن بما آتاك ا ، من المثاني والقرآن العظيم ، ! 2 2 ! فإنهم لا خير فيهم يرجى ، ولا نفع يرتقب . فلك في المؤمنين عنهم ، أحسن